وقفة: مع الصبر

بطبيعتها لا تخلو من الهموم والمصائب، وبها الكثير من الآلام والمتاعب، بؤسها وشقاؤها كثير، والإنسان في كنفها لا بد له من أمرٍ يعينه على ما يُبتلى به فيها.

تلك هي الحياة، والصبر يا أخي، هو ما يعين على تخفيف الآلام، وتهوين المصائب، وتيسير الصعاب، فيلتقي الصبر بأقدار الله تعالى، فيخفف من شدتها وحدتها.

لذلك دعا الإسلام إلى خلق الصبر، وحث على التحلي به، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [البقرة: ١٥٣].

الصبر خلق الأنبياء، ومن سماتهم، وهو صفة للصالحين، وقد أمر الله نبيه بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، فقال عز اسمه:{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ} [الأحقاف: ٣٥].

فالصبر يا عبد الله الصبر، فهل ينتصر المنتصر إلا بالصبر، وهل يكتسب الإنسان الشجاعة إلا بالصبر، وهل يكابد المسلم المرض ويقاومه لو لم يكن صبورًا؟

النصر صبر ساعة، والصبر ضياء ونور، وشيمة الأنبياء الصبر عند البلاء، فقد روى مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ فقال:ﷺ **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء في العبد حتى يمشي ـ على الأرض وما عليه خطيئة ـ**، رواه البخاري.

يا أخي اصبر، وكن من الصابرين، والحق بركبهم، فهم الأنبياء والمرسلون، والصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فلقد صبر نوح عليه السلام، وكذلك الخليل إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق، وصبر يوسف، وكان موسى وهارون من الصابرين، وكذا يحي وزكريا، وجميع الأنبياء، وقال الله عنهم:{كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [الأنبياء: ٨٥].

أما خاتم الأنبياء وإمامهم، سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مثالاً ساطعًا للصبر على أذى قومه، كذبوه وهو الصادق الأمين فصبر، أوذي في سبيل الله وهو ساجد في بيت الله فصبر، وصبر يوم أدميت قدماه من حجارة سفهاء الطائف وصبيانهم، صبر واحتسب ذلك عند الله تعالى، ولم يزده حالهم إلا شفقة عليهم، ودعاءً لهم بقوله:♂**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**═.

ولم يكتف الحبيب صلى الله عليه وسلم بصبره فحسب، بل علم أتباعه الصبر، وجعله ضياءً لهم في حياتهم، قال صلوات ربي وسلامه عليه:♂**الصبر ضياء**═، رواه مسلم.

فكان الصبر لهم نوراً يضيء لهم ولكل مسلم الطريق، فيعصمه من التخبط، ويقيه من القنوط، ويجعله يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، فكانت ثمار الصبر يانعة في حياة المسلمين، من صحابة وتابعين، ومن جاء بعدهم واتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أيها القارئ الكريم، إن الصبر ليس كلمات تقال، وإنما الصبر حقيقة نؤمن بها إذا ما علمنا أن الحياة الدنيا دار تمحيص وابتلاء وامتحان، فما يخرج الإنسان من امتحان إلا ليدخل آخر، فالابتلاء

من سنن الحياة، قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فاتقوا الله أيها الأعزاء، وتوبوا إليه، واعلموا أن الحياة مجال كفاح وجهاد، وميدان جد ومصابرة، واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن الصبر أول القوى التي يعد بها المجاهدون في سبيل الله أنفسهم، للحصول على أقصى درجات الخير والفلاح:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: ٢٠٠].

فكن يا عبد الله على أحكام ربك صابرًا، وبقضائه وقدره راضيًا، وفي رحاب ابتلائه ثابتًا:{إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [البقرة: ١٥٣]، وأيضًا:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦].

نسأل الله أن يجعلنا من الصابرين، الذين اعتصموا بربهم، واستجابوا لأوامره، واستسلموا لقضائه وقدره، فوفّاهم أجرهم،{إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

* * *